الحجة الغائية

وهي من اقدم الحجج ، وتوزعت بين الكتب المقدسة وبين عروض الفلاسفة. وخلاصتها، أن في العالم نظاما وانسجاما وغائية ، وأن الطبيعة أو الكون نسق من الوسائل والغايات. وهذا كله يفترض علة عاقلة هي التي تولت هذا التدبير. وإذن فإن للكون علة مدبرة ، لأن المادة عاجزة عن تدبير نفسها بنفسها .

وعلى الرغم من قدمها وسعة انتشارها ، فقد رفضها كثير من الفلاسفة ،

فرفضها ديكارت لأنه رأى الانسان عاجزا عن النفود إلى أغراض الله في الكون . ورفضها بسكال لأنها لا تستطيع أن تقنع إلا المؤمنين بالفعل الذين يدركون بإيمانهم العتيد أن كل ما هو موجود هو من صنع الله الذي يعبدونه ،

ورأى فيها ادوار لوروا (١٨٧٠ ـ ١٩٥٤) برهانا لا يصلح إلا للخطيب أو الشاعر الغنائي ، لا للمنطقي . فقد أخذوا عليها

أ ـ أنها تقوم على فكرة الغائية ، وهي فكرة غامضة ، تثير الكثير من المشاكل كما رأينا ...

ب ـ أنها تتناقض مع الحجج الكونية التي تقوم كلها على أن هذا العالم ـ ممكن ، فان، محتاج ، ناقص. ج ـ أنه إذا صح وجود انسجام في بعض النواحي فهناك أيضا ألوان عديدة من البؤس والشر.

ومع ذلك نجد لهذه الحجة مدافعين عنها في العصر الحاضر ، خصوصا بين العلماء،

ـ فإن اينشتين (١٨٧٩ ـ ١٩٥٥) يستخدمها في بيان تدين بعض العلماء. يقول : (من العسير أن تجد باحثا عميقا في العلم لا يبدي عن تدين بارز الخصائص ...

ب. كذلك يرى ماكس بلانك (١٨٥٨) أن الفيزياء النظرية الحديثة محتاجة إلى استخدام فكرة العلة الغائية إلى جانب العلة الفاعلية ، وهذه العلة الغائية تمكن من تحديد المستقبل لأنها تفترض غاية يسعى إلى تحقيقها ، وهذا يمكن من استنباط سير الأحداث المقبلة.

الحجة الأخلاقية

ولم يأخذ كانط إلا بالحجة الأخلاقية ، بينما نقد ما عداها من حجج على وجود الله . ويمكن صياغتها هكذا :

نحن نحكم بأن من الضروري أن يجازى الخير ويعاقب الشرير . لكن الطبيعة لا تجازي الخير ولا تعاقب الشرير . فمن الضروري إذن أن يكون فوق الطبيعة موجود عادل يجازي الخير ويعاقب الشرير وواضح أن هذه الحجة تقوم على أساس مقتضيات العدالة. كما أنها تقوم أيضا على أساس ما يقتضيه إمكان الجمع بين الخير والسعادة ، بين الفضيلة والنعيم ، بين القداسة والنعيم . إن الاتحاد بين الفضيلة والسعادة ليس من النوع التحليلي ، أي أن الفضيلة لا تقتضي في داخلها كمقوم لها ، السعادة . بل هو اتحاد تركيبي يحتاج الى استنباط متعال . ولهذا فإن الربط الضروري بين الفضيلة والسعادة يقتضي وجود علة عليا تتجاوز الطبيعة بالذهن والإرادة - علة مطابقة للنية الأخلاقية ، عالمة كل العلم ، قادرة كل القدرة ، خالقة للطبيعة - وفي كلمة واحدة ، يقتضي وجود الله .

ومن الذين جددوا الحجة الأخلاقية في العصر الحاضر لوى لافيل ورينيه لوسن - على أساس فكرة القيم الأخلاقية وحاجتها إلى القيمة المطلقة التي منها تستمد القيم الأخلاقية الجزئية . والقيمة المطلقة ، أو المطلق ، أو القيمة بالمعنى الأتم هي الله.